دعـــوة
لمواصلة إهداء المكتبات

بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل

إن واقع حياتنا العصرية واقع علمي متطور باستمرار نحو المعرفة والابتكار والإبداع، وللكتاب دور رائد في فتح آفاق المعرفة نحو العلم والوعي والثقافة لما يحوي بين دفتيه من معارف وعلوم؛ لذا ينبغي أن نعطي الكتاب المكانة التي يستحقها في خضم التطور المذهل لوسائل الاتصال.

والمكتبة ركن أساسٌ في الحياة العلمية والفكرية لما تقوم به من دور مهم حيث إن الكتاب من أهم وسائل المعرفة، في تكوين طلاب العلم تكويناً سليماً. وعلى مدى التاريخ كله لا يزال الكتاب يضيف إلى تراث الأمم مزيداً من المعارف في مختلف مجالات الفكر والإبداع والاتصال الحضاري؛ فالكتاب وسيلة تثقيف ومعرفة وترفيه، وفي المكتبة يلتقي الماضي بالحاضر، ويطل الحاضر على المستقبل. وعلى مدى التاريخ؛ فالمكتبات تجسد بجلاء صورة أمينة لتاريخ الأمم. وستظل المكتبات من أهم مراكز الإشعاع الثقافي والفكري ولا تزال تحمل على عاتقها هذه المسئولية. والمكتبة تخدم الدارسين والباحثين وأصبحت اليوم موضع اهتمام الأمم

وتحرص الجامعات ومراكز البحوث على تطوير مكتباتها وتسخيرها لخدمة طلابها وروادها. فالمكتبة هي المكان الذي يجمع المادة المكتوبة وينظمها ويحفظها وييسر استعمالها لمن يبتغيها. وفي بلادنا اليوم مكتبات عامة وخاصة تؤكد الحضور الثقافي والنهضة الفكرية.

لذا كم يسعد المرء حينما يسمع بقيام البعض من العلماء والأدباء بوقف مكتباتهم وما فيها من درر نفيسة للجامعات. ولا شك أن هذا العمل يعد بادرة طيبة وعملاً جليلاً، فمتى قدم المرء مكتبة لإحدى الهيئات العلمية فإنها ستعنى بها وستحافظ على ما فيها من كتب ومخطوطات نادرة وتعمل على صيانتها وترميمها والحفاظ عليها وتحقيق ما يستحق التحقيق وطباعته ونشره. فكم من مكتبة تحوي مخطوطة نادرة وفريدة ستشكل إضافة مهمة لأصالة الحضارة الإسلامية وغناها.

لذا نرجو من كل صاحب مكتبة خاصة أن يبادر بالتبرع بها للهيئات والمؤسسات العلمية حفاظاً عليها وصيانة لها من التلف والضياع بعد وفاته. فقد يرثها من لا يعرف قدرها وقيمتها العلمية وكونها تراثاً، والتراث لا يورث فكم من مكتبات أحرقت وضاعت وفقدت؛ لأنها تركت في أيدٍ لا تعرف قدرها.

إن الكثير من المكتبات الخاصة تحفل بنفائس المخطوطات النادرة والكتب القيمة. لقد كان أسلافنا ـ يرحمهم الله ـ يعنون بالكتاب ويحرصون على ابتياعه أو نسخه، وكانوا يوصون بوقفها على معاهد العلم والمساجد مع الحرص على اختيار الحذاق من النساخ والمهرة في الضبط والنقل والإجادة في التجليد. ومن المعروف أن مكتبة العباسيين في بغداد والفاطميين في القاهرة والأمويين في قرطبة من أعظم المكتبات ولها الفضل الكبير في حفظ التراث الإسلامي.

إن الكتاب ركن أساس من أركان العملية التعليمية لا تقوم إلا به لذا ينبغي أن نحرص على اقتنائه وتوفيره لطلاب العلم ليسهم في زيادة رصيدهم العلمي من المعرفة والثقافة. ولقد روى ياقوت أن عدداً من المكتبات تبرع بها أصحابها، وأن الكثير من العلماء كانوا يوصون بأن تئول مكتباتهم إلى دور العلم كما فعل الصاحب بن عباد حين أوقف مكتبته على الري. كما أن مرو كان بها في مطلع القرن السابع الهجري عشرُ خزائن للوقف وجميعها مجانية والإعارة فيها من دون رهن وكذلك في البصرة والكوفة والقاهرة ودمشق والأندلس كانت مساجدها تحتفظ بكنوز الثقافة وديعة غالية تصونها وتؤديها لأبناء الإسلام جيلا بعد جيل.

إنه نداء موجه إلى كل صاحب مكتبة في بلادنا ألا يحبسها أو يجعلها عرضة للتلف إذ لا ينبغي حبس الكتب والمخطوطات.

إن وقف المكتبة والتبرع بها للمدارس والجامعات والأندية الأدبية والمكتبات العامة ومراكز البحوث أو المساجد إلى غير ذلك عمل خيري عظيم؛ لأنه ذو نفع كبير فهو كالصدقة الجارية فلنكن قدوة حسنة ومثلا طيباً في التسابق لهذا العمل الخيري الجليل.

ولتكن تلك المكتبات وما تحويه من كتب في متناول الباحثين وتبقى أساساً للمعرفة ومصدراً للفائدة. ومن هذا المنطلق ندعو كل صاحب مكتبة خاصة ألا يبخل بها على طلاب العلم والباحثين مع العمل على إصدار الفهارس لها، ففي ذلك إسهام فعال في تحقيق أهداف المعرفة والفائدة وتوفير الاطلاع على شتى المعارف والعلوم القديمة والمعاصرة. حقق الله الآمال وهو الهادي إلى سواء السبيل.